

## الدعوة الإسلامية في المدينة :

لم يتمتع أهل المدينة قبل هجرة الرسول (صلى الله عليه واله) اليها بوجود سلطة مركزية تتولى توفير الامن والاستقرار فيها وذلك لانقسام اهل المدينة إلى خمس قبائل ، اثنتان منها عربية وثلاث منها يهودية ، وكانت حدة المنافسة بين هذه القبائل كثيراً ما تقودهم إلى حروب ومصادمات مسلحة بينهم .

فإن نشوء دولة المدينة في يثرب قد ارتبط بنشأة سلطة الرسول (صلى الله عليه واله) فيها، ونجاحه في توسيع هذه السلطة بحيث شملت جميع سكان مدينة يثرب التي عرفت بعد هجرة الرسول (صلى الله عليه واله) اليها باسم المدينة او مدينة الرسول .

وكانت سلطة الرسول (صلى الله عليه واله) بالنسبة لاهل المدينة على شكل سلطة روحية تقوم على اساس ايمانهم بأنه رسول الله إلى الناس، ومن ثم فإن من واجبهم ان يستسلموا لما ياتيهم به من اوامر وتوجيهات، لان هذه الاوامر من الله سبحانه وتعالى فلا يجوز الخروج عليها .

## تنظيمات الرسول (صلى الله عليه واله) في المدينة :

### ازالة أسباب العداء بين الأوس والخزرج :

لقد وجد الرسول (صلى الله عليه واله) حين وصول المدينة ان احد ابناء الخزرج وهو اسعد بن زرارة قد خاف ان ياتي للسلام عليه لأنه كان يخشى أن يثار منه الاوس لانه قد قتل احد ابناءهم في حرب بعاث .

لذا سعى الرسول محمد (صلى الله عليه واله) منذ ان وصل قباء على مشاركة المدينة على ممارسة دور الحكم المحايد الذي يعمل على دفن حزازات وأحقاد الماضي واقامة مجتمع موحد يقوم على المحبة والتعاون لذا اطلق اسماً جديداً على المسلمين من ابناء الاوس والخزرج مشتقاً من مناصرتهم له ولخوانهم القرشيين فأسماهم بالأنصار، في الوقت الذي اطلق على المسلمين الذين غادروا مواطنهم السابقة في سبيل الله اسم المهاجرين .وبذلك أصبح المجتمع الإسلامي الجديد يتألف من المهاجرين والأنصار .

## 1- بناء مسجد المدينة .

كان اول عمل قام به الرسول (صلى الله عليه واله) هو بناء المسجد الذي اصبح مركزاً لنشر الدعوة وشرح مبادئ الدين الحنيف ومكان يجتمع فيه المسلمون للعبادة والتعليم والقضاء والتداول في شؤونهم الاجتماعية والسياسية ، وكان بناء المسجد يعتبر اول واهم ركيزة في بناء المجتمع الاسلامي ، وقد شاع روح العدل والمساواة بين المسلمين ، دون اعتبار فوارق الجاه والمال وانصهر المسلمون في بوتقة من الوحدة الراسخة في ظل الدين الحنيف . ثم بعد ذلك بنيت منازل ومنازل أصحابه حول المسجد .

## 2- المواخاة :

تفرغ النبي (صلى الله عليه واله) إلى معالجة الاختلاف بين المهاجرين والانصار وبين الانصار أنفسهم اي الجبهة الداخلية ، وقد تمكن الرسول (صلى الله عليه واله) من التغلب على تلك المشكلات والقضايا بأساليب حكيمة وسياسية محكمة ، فقد عالجه بالمواخات بين المهاجرين والانصار حينما جمعهم الرسول (صلى الله عليه واله) وقال لهم : (( تأخوا في الله أخوين أخوين )) فأصبح هذا التآخي والوحدة بين الاطراف المتنازعة ، طريقاً لحل المشكلات الاخرى ، كما اختار علياً أخاً لنفسه وقال : (( يا علي انت أخي في الدنيا والاخرة )) .

ولم يرضى المهاجرين ان يكونوا عبئاً على اخوانهم الانصار ، بل اخذوا يسعون في سبيل العيش ، فعمل بعضهم بالتجارة والبعض الاخر اشتغل بالزراعة في اراضي الانصار مزارعة مع ملاكها . وقد استمر نظام المواخاة حتى موقعة بدر ، حيث الغي هذا النظام .

## 3- اعلان الصحيفة :

الصحيفة : هي معاهدة تمت بين الرسول (صلى الله عليه واله) وبين المهاجرين والانصار واليهود ، حيث شرع الرسول (صلى الله عليه واله) في وضع نظام الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية بين مختلف الفئات التي يتكون منها أهل المدينة .

وقد اختلف الباحثون في تحديد تاريخ تلك الصحيفة فمنهم من قال انها كتبت في الشهر الخامس من وصول الرسول (صلى الله عليه واله) إلى المدينة، في حين ذهب البعض الاخر إلى إنها قد كتبت قبل معركة بدر، في حين ان اخرين يميلون إلى انها كتبت بعد بدر .

## تنظيمات الصحيفة :

### أ- الامة الواحدة وأهل المدينة :

ان الامة في المدينة قد تشكلت من المهاجرين والانصار لكنها لم تقتصر عليهم بل اتسعت لتشمل من تبعهم وجاهد معهم وبذلك قد شملت الصحيفة المشركين من الاوس والخزرج كما عدت الصحيفة يهود بني عوف وغيرهم من اليهود المتحالفين مع بطون الاوس والخزرج أمة مع المؤمنين، لانهم قد إرتضوا ان يعيشوا في اطار الامة على وفق المبادئ التي جاءت بها الصحيفة .

وقد جعلت الصحيفة الامة في اطار سياسي مفتوح لانضمام كل الافراد والجماعات التي ترتضي الحياة في اطارها، لذلك فسحت مجال النمو لتتحول إلى دولة تضم معظم القبائل العربية في أواخر حياة الرسول (صلى الله عليه واله) ثم اتسعت في عهد الخلفاء الراشدين إلى دولة عالمية تضم شعوباً وقبائل متنوعة تعيش في إطار النظام الاسلامي .

### ب- التنظيم القبلي والامة :

لم تلغي الصحيفة النظام القبلي الذي كان يعيش الناس في إطاره منذ زمن بعيد بل انها اعترفت به اساساً تقوم عليه التزامات الافراد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وحاولت في الوقت نفسه تعديلته وتشديده ليتفق مع فكرة الامة الواحدة ، ونصت الصحيفة على بقاء التزامات العشائر على ما كانت عليه سابقاً من حيث تكامل افراد كل عشيرة في دفع فدية أسراها ودية من يرتكبون جناية من أفرادها .

## ج- الامة وحقوق الافراد :

نظمت الصحيفة حقوق الافراد والتزاماتهم في المجتمع فنصت على ان جميع افراد الامة متساوون في حق منح الجوار، الا ان الصحيفة قيدت هذا الحق بالنسبة للمشاركين من افراد الامة، وذلك لان مشركي قريش كانوا في حالة حرب مع المسلمين. كما اكدت الصحيفة على احترامها لحقوق الولاء، كما تنص على ان لا ياتم أمرؤ بحليفه وذلك لتأكيد المسؤولية الفردية في المجتمع، فلا يحاسب الفرد الا على اعماله ولا يؤخذ بجريرة غيره كما كان في ظل القيم القبلية القائمة على العصبية الذي كان قائماً على مناصرة القبيلة لابنائها ظالمين كانوا او مظلومين .

## د- الامة والقبائل اليهودية :

تعاملت الصحيفة مع اليهود في المدينة بصفتهم احدى الفئات التي تتكون منها الامة، الا ان الصحيفة لم تشر اليهم بحسب انتماءاتهم القبلية الخاصة كبني قنيقاع وبني النضير وبني قريظة، وانما اشارت اليهم بصفتهم حلفاء لبطون الخزرج والايوس، كما اعترفت الصحيفة لليهود ومواليهم حرية ممارسة عقيدتهم كما ضمنت لهم مبداء المسؤولية الفردية بالنسبة لليهود، فاذا ارتكب احدهم جريمة او عدوانا على احد فان مسؤولية ذلك العمل تقع على عاتقه وحده. كما على اليهود وجوب معاونة المسلمين ضد من يحاربهم، وعدم منح الجوار لقريش ولا من نصرها، ومن واجبه ايضا محاربة من دهم يثرب .

## هـ - سلطات الرسول (صلى الله عليه واله) في قيادة الامة :

لقد نصت الصحيفة على ان صاحب السيادة في المدينة هو الله تعالى لانه صاحب الكلمة الفصل، اما الرسول (صلى الله عليه واله) فهو صاحب السلطة التنفيذية التي تدير امور المجتمع وتوجهها على وفق اوامر الله ونواهيته، ان سلطة فض النزاعات التي تحصل بين ابناء الامة والحكم في الخلافات التي تحصل بين مختلف العشائر المدنية قد اصبحت على وفق احكام الصحيفة من اختصاص الرسول (صلى الله عليه واله) الذي يحكم فيها وفق لاوامر الله تعالى، ومن هنا وجدنا سلطة قضائية تعمل على حسم المنازعات بين الافراد والجماعات وتمنع الناس من تسوية منازعاتهم بانفسهم عن طريق الثار والثار المقابل لذا فقد اكدت الصحيفة على ضرورة ايقاع القصاص على الجاني من قبل الجماعة على وفق مبادئ الحق والعدل، لقد استهدفت الصحيفة تحقيق السلام في ربوع المدينة من خلال تنظيم

العلاقات بين اهل المدينة على اساس من المساواة والعدل، ولم تقتصر سلطات الرسول (صلى الله عليه واله) على مسائل التحكيم والقضاء بل امتدت إلى الامور التنفيذية وبخاصة مايتصل منها بالجوانب العسكرية فقد كانت الامة في بداية تكوينها وهي بحاجة ماسة إلى القوة العسكرية المنظمة للدفاع عن نفسها ومحاربة اعدائها، كما جعلت الصحيفة امر اعلان الحرب او الدخول في السلم من صلاحيات الرسول (صلى الله عليه واله).

## تشريع الجهاد في سبيل الله :

اهتم النبي (صلى الله عليه واله) بامر الدفاع عن المدينة وجعل اهلها كتلة واحدة في الحرب يدافعون عنها ضد من كان يستهدف دينهم، ولقد احاطت بالمسلمين في المدينة اخطار وهددهم اعداؤهم من المشركين واليهود والمنافقين فكان لا بد من اخذ الحيطة والحذر والقيام باستعدادات عسكرية لصد الاخطار والوقوف بوجه الاعداء وحماية المسلمين إلى ان انزل على النبي (صلى الله عليه واله) الاذن بالقتال وفرض الله الجهاد على المسلمين وجعله واجباً دينياً لنشر الدين الاسلامي والدفاع عنه وحماية الامة والمحافظة على مصالحها العامة واصبح القتال من اجل العقيدة واجباً مقدساً.

لذلك اخذ الرسول (صلى الله عليه واله) يوجه سرايا إلى القبائل التي كانت تساند قريش وهي الايلاف، كما ارسل حملات لمهاجمة بعض القبائل التي تمر بها تجارة قريش مستهدفاً اضعافها واقناعها بان تخلي بينه وبين الناس ولا تقف بوجه الدعوة الاسلامية .

لقد اطلق على الحملات العسكرية التي كان يقودها النبي (صلى الله عليه واله) بنفسه بالغزوات، اما السرية فهي مجموعة عسكرية صغيرة يقودها احد قواده دون أن يشترك فيها الرسول (صلى الله عليه واله) وان اهداف السرايا محصورة بادخال القلق والخوف إلى نفوس المشركين وتهديد تجارتهم ومن بين هذه السرايا سرية حمزة ابن عبد المطلب وكان اول لواء عسكري اعدة النبي (صلى الله عليه واله) وسرية عبيدة ابن الحارث بن عبد المطلب وسرية سعد بن ابي وقاص .

اما اول غزوة قادها الرسول (صلى الله عليه واله) فهي غزوة ودان او غزوة الابواء التي وقعت في شهر صفر من السنة الثانية للهجرة لملاحقة ركب قريش التجاري واعتراضه ولكنه رجع دون ان يلقي احداً منهم .

اما الغزوة الثانية فهي بواط حيث خرج الرسول (صلى الله عليه واله) إلى بواط للتعرض لقافلة قريش الا ان الرسول (صلى الله عليه واله) لم يلق كيداً فرجع إلى المدينة . كما خرج في جماد الاولى لاعتراض اكبر قافلة تجارية لقريش خارجة من مكة نحو الشام الا ان المسلمون لم يستطيعوا اللحاق بها لانها كانت قد غادرت العشيرة قبل وصول المسلمون اليها وسميت ب (ذات العشيرة) .

ان النبي (صلى الله عليه واله) قد استهدف من تلك السرايا والغزوات هو اعلام قريش بقوة المسلمين عسكرياً وان جميع طرق التجارة المكية اصبحت في متناول يده، بحيث غدا بمكانة ان يشل اقتصاد مكة ويهدد خطوطهم، خاصة ان التجارة كانت العمود الاقتصادي المكي وامراً حيويماً لهم، لذا كان على قريش في هذه الحالة أن تعيد النظر في مواقفها العدائية وحساباتها في ضوء الاحوال الجديدة فترك للمسلمين حرية الدعوة والعقيدة .

### تغيير اتجاه القبلة :

ومن الاحداث المهمة تحويل القبلة إلى الكعبة ، فقد تم في الشهر 17 من الهجرة اي في شهر رجب، حين اصبحت الكعبة قبلة للمسلمين فاخذوا يتوجهون إلى المسجد الحرام بدلاً من بيت المقدس، فقد صلى الرسول (صلى الله عليه واله) 13 عاماً في مكة نحو بيت المقدس ، ولما زاد ايذاء اليهود للرسول (صلى الله عليه واله) بعد تنامي قوة المسلمين وانتشار الاسلام، وقولهم ((أنت تابع لنا تصلي إلى قبلتنا)) فاغتم الرسول (صلى الله عليه واله) لذلك وشق عليه فانتظر فرجاً ووحياً من جانب الله حتى نزلت الاية: (قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) فكان تغيير القبلة واحد من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، كما أن اتخاذ الكعبة قبلة ، كان من شأنه كسب رضا العرب واستمالة قلوبهم وترغيبهم في الاسلام، تمهيداً لاعتناق دين التوحيد، ونبذ الاصنام، وخاصة ان الكعبة كانت موضع احترام العرب وتقديسهم منذ أن رفع النبي إبراهيم (عليه السلام) قوا عدها .